جامعة أبي بكر بلقايد –تلمسان-

كلية الآداب و اللغات

قسم الفنون

السنة الثالثة فنون درامية السداسي السادس

مقياس مسرح جزائري المحاضرة السادسة

الأستاذ: أ.د قرقوى ادريس

الهواية هي الخطوة الأولى نحو الاحتراف هذا ما تعارف عليه المسرحيون وقد كانت الهواية ولا تزال في مختلف بلدان العالم المدرسة التي تقدم للمسرح خير رجاله، فمبدأ الهواية يقوم على الميل الجارف والرغبة الشديدة، وهما كفيلان بجعل الفنان سيتهين بالعقبات التي تعترض سبيله والقيود التي تكبل حيويته، وبهذا يتناسى ما تفرضه عليه عادّات المجتمع وتقاليده ويتقدم بكل جرأة وقوة يدوس جميع العوائق والعقبات التي تحول دون بلوغ غايته ويمضي بحماس كبير وإرادة لا تفتر محققا ذاته الفنية.

وعند استعراضا لتاريخ المسرح الجزائري نجد أن كبار الفنانين والممثلين الذين طبعت أسماءهم صحف تاريخ مسرحنا كانوا في بداية حياتهم الفنية هواة أحبوا فن التمثيل وأخضعوا ظروف الحياة لممارسة هذا الفن الذي ارتضوه لأنفسهم وإن كان التاريخ يخبرنا أيضا عن فنانين عظام خيّروا بين المسرح ومؤسسات عملهم فاختاروا العمل لظروفهم الاجتماعية والمعيشية مثل سلالو علي وغيره كثيرون فأفل نجمهم بعدما كان ساطعا على خشبات مسارح الجزائر لكن غيرهم استمر في عطاءاته رغم المحن والإحن وأعطوا للمسرح الجزائري الكثير بل أسهموا في تجذير الممارسة المسرحية عندنا.

((ويدعى الهواة في كل بقعة من بقاع الأرض أنّهم المجددون دائما وأن قرائحهم كانت ولا تزال مهبط الوحي الفني والمصدر الذي تنبعث عنه مختلف الأضواء والألوان التي يسري ويصطبغ بها الفنّ وأنّه إذا كان للمحترفين فضل المثابرة والاستكمال فإن للهواة وحدهم فضل السبق والخلق الأول)).

"انطلق مسرح الهواة من المدارس العربية وتربي في أحضان الكشافة الإسلامية ونما وترعرع ضمن فرق الهواة المسرحية." هكذا صرح لي الفنان قندسي سليمان عن مسرح الهواة في سيدي بلعباس وهذا ما ينطبق فعلا على الهواة بالجزائر كلّهم.

لقد برزت إلى الوجود الكثير من فرق مسرح الهواة بغالبية المدن الكبرى الجزائرية ويمكن أن نذكر على سبيل المثال فرقة المسرح الشعبي، صوت النظال حاليا، فرقة الفصول الأربعة، مسرح البحر، فرقة الكلمة فنّ الخشبة، البيان، بسيدي بلعباس، فرقة الشباب، فرقة المسرح الوطني لغرب الجزائر جمعية أمل، ابن سينا، المسرح الحر، كلوباترا بوهران، فرقة السعيدية، جمعية الإشارة، الموجة، الخشبة الزرقاء بمستغانم القوالة، بغليزان والخلدونية بالشلف، فرقة الفنون الشعبية، النهضة المنايلية، لبرج منايل بومرداس، فرقة محمد اليزيد، القافلة وغيرها بالجزائر العاصمة. فرقة ترقية المسرح وأفراح المسرح الجامعي بتلمسان.

فرقة التاج ببرج بوعرريج، محفوظ طواهري بمليانة عين الدفلى، حركة المسرح بالقليعة تيبازة وغيرها من الفرق المسرحية والجمعيات التي نشطت ضمن مسرح الهواة، الفرق المسرحية الجديدة كفرقة عبد القادر وعجاج بمسرحياتها "اللعنة الأولى والثانية ومسرحية "اللهب" من سيدي بلعباس وجمعية محفوظ ظاهري من مليانة بمسرحيتها "بيت النار" وجمعية الموجة من مستغانم بمسرحيتها "الانحراف". وفرقة محمد اليزيد من الجزائر العاصمة تحركت جميعها نحو إسقاط النص المسرحي واللغة الأدبية لحساب الصورة، فهو جيل مسحور بالتقنيات، مسحور بخطف الأنظار وسرقة العين، ولهذا تراجعت لديهم سلطة المؤلف لصالح سلطة المخرج ولسلطة السينوغرافي والكوليغرافي أيضا، فلم تنشغل هذه الفرق بالإجابة عن سؤال لماذا؟ قدر إنشغالها بسؤال كيف؟ وبكل ما يخطف العين ويبهرها هكذا بدأ تحركهم نحو الصيغ الفلكلورية، بعيدا عن أي خبرة معرفية تراكمية، وبعيدا عن أي ارتباطات فكرية بمشروع نهضوي فاعل على المستوى الاجتماعي والسياسي والثقافي اعتماداً على التراث واستلهاماً للموروث الشعبي، ولكن ظل تحركهم تحركا شكليا، وسؤالا زائفا، يبحث عن صيغ مبهرة، يمكن لها أن ترضي لجان التحكيم بالمهرجانات الوطنية بعامة والدولية بخاصة، وقد نسمي هذه الظاهرة الجديدة في المسرح لدنيا بظاهرة مسرح الكارتبوستال.

كما تدعمت حركة الهواة المسرحية بمجموعة هامة من "المهرجانات"[1]أبرزها المهرجان الوطني للمسرح الهواة بمستغانم الذي عقد دورته السادسة والثلاثون سنة 2003

[1] - المهرجانات Festival كلمة مهرجان فارسية منحوتة من مهر التي تعني محبة وجان التي تعني الروح، وكانت تستعمل بمعنى الاحتفال العظيم، أو العيد لدى الفرس، أما كلمة Festival فهي إنجليزية مأخوذة من اللاتينية FESTA التي تعني العيد والمهرجان بمعناه الحديث هوز صيغة لتجمعات فنية وثقافية والاحتفالات المسرحية. كونه صيغة مبرمجة يخطط لها مسبقا من خلال سياسة ثقافية محددة... تعود أول فكرة لإقامة مهرجان مسرحي إلى عام 1854 في ألمانيا، حيث قام مدير مسرح البلاد في ميونيخ دينفلشتد (1814- 1884) بجمع ثلاثين من أفضل الممثلين بألمانيا عروضا لموسم يدوم شهرين على مسرح شيّد خصيصا لهذا المناسبة... وفي عام 1947 تأسس مهرجان الثورة أدنبره في انجلتا ومهرجان أفنيكن

والمهرجان الوطني لمسرح الشباب لجمعية آمل بوهران والمهرجان المغاربي بعنابة ومهرجان مدينة العلمة والمهرجان المسرحي بسكيكدة، ومهرجان الوادي وآخر بالقليعة ومهرجان مليانة للمسرح التجريبي، الذي دأبت جمعية محفوظ طواهرية على تنظيمه كل سنة، ثم أيام مدينة العامرة المسرحية، فأيام غليزان للفنون المسرحية الذي تنظمه سنوياً جمعية القوالة المسرحية، وإن كانت غالبة هذه المهرجانات تنقصها الاستمرارية لأسباب عدّة أبرزها مشكل التمويل ولعل أبرز مهرجان مسرحي كرس النوعية ودعا إلى جودة الأعمال المسرحية نصا وإخراجا وأداء وحاول أن يلخص تجارب المهرجانات الوطنية، المهرجان الوطني للمسرح الممتاز بسيدي بلعباس الذي تسعى جمعية البيان إلى التأكيد على أنّه تقليد مسرحي ستحفظ به المدينة المسرحية، يختار المهرجان العروض المسرحية الجزائرية المتوجة بالجوائز الكبرى بالمهرجانات الوطنية والدولية، والسؤال الذي ينبغي علينا طرحه في هذا المجال: ماذا قدمت حركة مسرح الهواة للمسرح الجزائري؟

وللإجابة عن هذا السؤال لابدّ من استعراض بعض الظروف العامّة التي عمل مسرح في ظلها الهواة والتي تتلخص في الآتي:

- غياب كامل للدعم المادي من الدولة وإذا ما حصل فإنه يقتصر على بعض الفرق وبشكل مؤقت أو متذبذب.

- الافتقار إلى التكوين المسرحي بالمعنى الأكاديمي (فممارسة المسرح لدى الهواة كما سبق الإشارة إلى ذلك تتم على سبيل الرغبة والهواية.

- عدم حصول هذه الفرق على مقرات للعمل والإعداد المسرحي.

- عدم التفرغ بشكل كامل للعمل المسرحي، فغالبية الهواة عمال أو موصفون يمارسون نشاطهم المسرحي خارج أوقات العمل.

- الإفقار إلى الإضافات في المجال المسرحي.

- غياب إستراتيجية عمل ثقافية توحد جهود الهواة.

وإجمالا يمكن تلخيص أهم مساهمات مسرح الهواة في المسرح الجزائري كالآتي:

- جهود مسرحية (كم كبير من الأعمال المسرحية الإبداعية والمقتبسة).

- استطاع أن يخلق جمهورا مسرحيا يهتم ويتابع النشاط المسرحي.

بفرنسا، ويعود الفضل في إقامة هذا الأخير إلى جهود الفرنسي جان فيلار J. VILAR (1912-1974) الذي جعله من أهم المهرجانات في العالم... في العالم العربي انتشرت صيغة المهرجانات المسرحية أيضا وأول مهرجان قدمت فيه عروض مسرحية وهو مهرجان بعلبك في لبنان عام 1922. (انظر د. ماري أليس،د حنان قصاب حسن، المعجم المسرحي، مرجع سابق، ص487-488)

- الانتقال بالمسرح من المدن الكبرى إلى القرى والأرياف في شكل فرق مسرحية، جمعيات بدور الشباب.

- الانتقال بالمسرح إلى المدرسة والجامعة.

- أمدّ مسرح الهواة المسرح المحترف بمعظم كوادره الفنية.